شركات التعاون الزراعية في مصر

اعمالها

ليس في العالم بلد أحوج للنظام التعاوني في الزراعة من مصر : بلد يتحكم فيه المال الاجنبي . بلد ثروته في أرضه ، وأرضه من أخصب بقاع الدنيا . وفلاحه الذي يفلح هذه الارض ويخرج للعالم نوعا من القطن لا يزاحمه فيه مزاحم . هذا الفلاح الذى يكد ساعات طويلة من اليوم بكل صبر ونشاط في سبيل اثراء ثروة مصر ، انما يعيش عيشة حقيرة ويكاد لا يكتسب الا ما يمسك به رمقه . بينما يعيش بجانبه اهناً عيشة جيش من عملائه الذين يضع بين أيديهم ثمرة كده وجهده .

هنالك عدة عوامل لتأخر مصر عن الاخذ بالنظم التعاونية مع شدة حاجتها لها والنجاح الهائل الذي صادفه التعاون في كل مملكة سري فيها . من أهم تلك العوامل ضعف المجهود الذي بذل في غرس الروح التعاونية في نفوس المزارعين وتفهيمهم الفوائد التى تعود عليهم من تأليف الشركات التعاونية . من أجل هذا تلاشت عدة شركات تعاونية انشئت أثناء سباق المديرين في تأليفها وتلاشت قبل أن تعمل عملا . أما الشركات الباقية الي اليوم فهي التى أخذ بيدها أنصار التعاون أمثال عمر بك لطفى وساروا بها الخطوات الاولى حتى ذاقت طعم ثمار التعاون الشهية . ومع ذلك فهذه النقابات أيضا محتاجة للري المتوالي من ماء التعاون حتى تترعرع وتزداد نفعا به فتنبت وتقوي . وهذه المجلة ترى من واجبها أن تقوم بقسطها من العمل بتبيان مزايا التعاون وقواعده ، ونتكلم في موضوعنا هذا عن متاعب الفلاح التى يذللها أخذه بالنظم التعاونية

الاقتراض : المزارع — بخلاف الصانع أو الموظف مثلا — ايراداته ومصروفاته غير موزعة على اشهر السنة توزيعا متناسبا فهو لذلك شديد الحاجة لتنظيم ماليته ، اذ تمضى فترة طويلة غالبا — خصوصا في زراعة الحاصلات الحقلية او اصلاح الارض — قبل أن يجنى ثمرة كده وتحصيل ارباحه . ونفقاته ونفقات الزراعة لا تحتمل التأجيل في الغالب لارتباط عمليات الزراعة بالوقت الملائم لها . فالفلاح اذا تأخر في شراء التقاوي فاته ميعاد الزراعة واذا لم يصلح ساقيته مبكرا فقد تموت زراعته عطشا واذا تأخر في جنى قطنه لقلة المال الذي في يده فالمحصول يتعرض للتلف بالامطار وغيرها . وهو مع ذلك أيضا لا يضمن أن يحصل بعد هذا الجهد على محصول يوازي ثمنه ما أنفقه من المال ، اذ للعوارض الجوية وفتك الآفات وقلة الماء وغير ذلك تأثير كبير في مقدار المحصول . أضف الى ذلك تلاعب التجار بأسعار حاصلاته . فلا غنى للفلاح والحالة هذه عن الاقتراض اذا لم يكن مدخرا كفايته . وهو اما أن يقع فريسة في أيدي مرابي القرى ، يتقاضون منه الفوائد الباهظة ويشجعونه على الاقتراض لأوجه صرف غير منتجة حتى ينتهي به الحال الى نزع ملكية ارضه وانتقالها الى المرابي ، واما ان يلجأ الى المصارف العقارية ، وهي بعيدة عن القرى ، يجهل المزارع الصغير اساليبها ، ولا قبل له باحتمال النفقات وتقديم الضمانات التي تلزم قبل اعطائه السلفة . كما ان هذه المصارف تجهل — ولا تعبأ الا قليلا — بالظروف الخصوصية للفلاح سواء عند الاستدانة او عند السداد . وهي ايضا لا تعنى الا باستدرار الربح الوافر . وقد كان تصرف هذه البنوك في الازمات التي وقعت فيها البلاد قاضيا على

سعادة الكثير من ملاك الاراضى . فالمصارف التعاونية تنتشل اعضاءها من هذه الوهدة كما يأتي .—

(١) تحصل على المال المراد توظيفه فى اقراض الاعضاء بفوائد وشروط مقبولة نظراً لتبادل الضمانات بين الاعضاء والثقة التي تحوزها لدي البنوك بانتظام عملها

(٢) تعمل على ازدياد الاموال الاهلية المودعة فيها الحض على التوفير والاقتصاد وتخصص جزءاً من ارباحها للمال الاحتياطى فتصل بذلك الي الاستقلال المالى

(٣) تعطي القروض بفوائد قليلة لقلة نفقاتها وبساطة اجراءاتها وكلما ازداد مالها الاحتياطى وودائعها كلما استطاعت ان تنقص من سعر الفائدة التى تتقاضاها من الاعضاء

(٤) ادارتها بيد مدينيها فهى لذلك تراعي ظروف المدين عند الاستدانة وعند السداد

(٥) نظامها ديموقراطى يقضى على جشع الرأسماليين فالاعضاء صغيرهم وكبيرهم متساوون في الحقوق والواجبات

(٦) لا تطلب من المدين الضمانات التى تطلبها المصارف العادية وكثيرا ما تكتفى بالضمان الشخصى لان اطلاعها على احوال المقترض ومراقبتها له فى التصرف بالمال الذى يقترضه يكفل سداد مطلوباتها

(٧) بعض الحكومات تساعد هذه المصارف مساعدة مادية باعفائها من بعض الرسوم وباعطائها بعض الامتيازات القانونية وسلف بفوائد قليلة او بدون فائدة بالمرة وهذا يساعدها على اقراض اعضائها بأقل

فائدة ممكنة

الاقتصاد : يدخل المال عند الفلاح دفعة واحدة عند بيع المحصول فمنهم من يسرف في انفاقه ومنهم من يدخر مالا عاطلا بدون فائدة

نعم ان الحكومات بانشائها صناديق التوفير على مقربة من الفلاح الصغير هيأت له توظيف المال الذي يزيد عن حاجته الوقتية . ولكن هذه الصناديق ـ لصيغتها الرسمية ـ انما تنتظر ورود المال اليها انتظاراً ولا تعمل في انماء ملكة الاقتصاد عند الفلاح كما تعمل البنوك التعاونية التي تمتاز بما يأتي

(١) ادارتها في ايدى المنتفعين منها فتغرس فيهم التربية الاقتصادية والدراية باساليب الاعمال المالية الي الحد الذي يتفق مع مداركهم ويحسنون تدبير ماليتهم الخاصة

(٢) يجتمع للعضو في نهاية العام مبلغ يخصص من ارباح الشركة للتوزيع علي الاعضاء بنسبة معاملاتهم . وهذا المبلغ يكون نواة للتوفير يعمل العضو علي ازدياده بالاقتصاد

(٣) توظف المال المودع فيها في اقراض المحتاج من الاعضاء وفي الاعمال الاخري وبذلك تستطيع ان تدفع عنه فائدة اكبر مما تدفعها صناديق التوفير الحكومية فى العادة

(٤) ترغب اعضاءها في التوفير بطرق الحث المختلفة ولها أساليب مختلفة في زيادة اقبال صغار الفلاحين علي الاخص للتوفير فتوزع عليهم صناديق صغيرة متي اجتمع فيها مبلغ يذكر قدمت لسكرتير البنك فيفتحها ويستلم ما فيها ويرصده لحساب صاحب الصندوق

تداخل الوسطاء : قد نتج من زيادة العمران وتمهيد وسائل النقل السريعة ازدياد تبادل الحاجيات بين الافراد على بعدهم من بعض بعداً شاسعاً ، فالمنتجات المصرية تستهلك في عدة ممالك قاصية كما ان مصر تستهلك عدة مواد من منتجات بلاد العالم البعيدة . وقد أدى هذا الحال الى تداخل عدة وسطاء بين المنتج والمستهلك . ونتيجة ذلك أن المنتج يستولى على ثمن أقل مما تساويه بضاعته . والمستهلك يدفع عنها ثمنا أعلى مما يجب . كما أن انتقال البضاعة من يد لاخرى قبل أن تصل الى المستهلك قد يحط من قيمتها خصوصا فى بعض الاصناف الزراعية التى يراد فيها أن تكون طازجة كالبيض والزبدة والفاكهة وقد يؤدي الى ادخال الغش فيها لطمع هؤلاء الوسطاء فيؤذى ذلك المستهلك والمنتج على حد سواء. لهذا فالمنتج والمستهلك يحاولان الاتصال ببعضهما مباشرة كما كانا فى سالف العهد ، فيؤلف كل فريق منهما شركة تعاونية تحقق له مراميه

والفلاح منتج ومستهلك في وقت واحد. فالشركة التعاونية الزراعية يمكن أن تؤدي له الخدمات الآتية في دفع ضرر وجود الوسطاء بينه وبين عملائه —

(١) شراء حاجيات الاعضاء الزراعية او المنزلية من المصانع الكبرى مباشرة او الشركات التعاونية التى تنتجها او من تجار الجملة وبذلك يزول اكبر عدد ممكن من الوسطاء فيكون السعر معتدلا ما امكن

(٢) تختبر غش المواد التى تستوردها وجودتها كالتقاوي والاسمدة والعلف ومواد البناء وغيرها اما باستخدام الفنيين او بالالتجاء الى معامل التحليل والاختبار وذلك أقرب منالا وأقل نفقة مما في حالة الافراد

(٣) قد تعمل على انتاج مستهلكاتها لحسابها الخاص فتقترب بذلك من الاستقلال الاقتصادى ، وتحصل على طلبات اعضائها باقل سعر ممكن وتأمن الغش . كذلك تعمل على الاقلال من نفقات الشحن والنقل والسمسرة وغير ذلك أو تتولى ذلك بمعداتها الخاصة وبموظفين تابعين لها مباشرة

(٤) تبيع حاصلات الاعضاء الى المستهلك مباشرة اذا أمكن والا فتقترب منه بقدر وسعها لتكتسب لنفسها أرباح الوسطاء الذين لا ضرورة لهم وتحصل على اكبر سعر لحاصلاتها . كما أن أمانتها في المعاملة وعدم غش الاصناف المباعة يضمن لها الاقبال على شراء منتجاتها . وتكتسب مبيعات الشركة شهرة ممتازة فتتخذ لها « ماركة مسجلة » مما يرفع في سعر مبيعاتها

(٥) تقف على الاساليب التجارية في بيع الحاصلات وشرائها أو تستخدم الخبيرين في ذلك حتى تحصل على اكبر كسب من منتجاتها ولا يتلاعب بها الوسطاء

(٦) قد تتولى تجهيز منتجاتها الخام لحسابها الخاص فتنشئ معامل الحليج والتقطير وعمل المربات وغيرها

الخبرة الفنية . مهما كانت مقدرة المزارع فانه لا يستطيع أن يلم بجميع الحقائق التى لها دخل بعمله . وقد تقدمت العلوم الزراعية وأصبح لكل فرع منها اخصائيون يحتاج اليهم المزارع فى اختبار تربة أرضه أو اصلاحها أو تخطيطها أو اقامة المباني عليها وفي تربية ماشيته أو النحل أو الدجاج وفي صناعة الزبدة والجبن أو فلاحة البساتين وزراعة الاشجار

الي آخر ذلك مما لا حصر له . فشركات التعاون يمكن أن تستخدم معلومات هؤلاء الاخصائيين لفائدة الاعضاء دون أن يتكبد الواحد منهم نفقة تذكر

سيادة المال علي العمل . كانت الصناعة في العهد الاول في أيدي الافراد العمال ، ولاختراع الآلات وانشاء المعامل انتقلت الى ايدى الشركات الكبيرة وكبار الماليين ، وكادت تندثر الصنائع اليدوية التي يعتمد عليها الفقير في كسب قوته وأصبح للمال القيمة الاولي في الصناعة بعد ان كان ذلك لليد العاملة .

اما الزراعة فانها لم تنتقل بعد الي هذا الطور . ولكنها الي حد ما سائرة الي هذا السبيل ، فان العالم تقدم الخطوات الأولى نحو الانتاج المشترك باختراع الآلات البخارية والسيارة للحراثة والدرس والرى والصرف وضم الحاصلات وغير ذلك . وليس في وسع المزارع الصغير ان يمتلك هذه الآلات ، كما ان ذلك بعيد عن الاقتصاد اذا امتلكها ، لأنه ليس لديه العمل الكافي لها . ولكن بالتعاون يستطيع المزارع الصغير أن يستخدم هذه الآلات وقد انتشر عندنا اقامة بعض الشركات أو الماليين وابورات لري أراضى صغار الفلاحين بقيمة كثيراً ما تكون عالية . كما أن امتلاك وابورات طحين الغلال قضت على المطاحن البيتية القديمة وهذا بدء سيادة المال على العمل في الزراعة مما لا حل له الا انشاء الشركات التعاونية

المشروعات الزراعية المشتركة : تقوم الحكومة بعمل مشروعات ذات فائدة عامة للمزارعين كانشاء الترع والمصارف والسكك الزراعية والفلاح الصغير كثيراً ما تمتنع عنه فائدة هذه المشروعات كعدم اتصال

أرضه بها ولا قبل له بالنفقة اللازمه في ايجاد هذا الاتصال . فالشركة التعاونية تستطيع انشاء المساقى والمصارف الفرعية المشتركة وتعهدها بالتطهير اللازم وانشاء الطرق وأقامة المباني العامة كالمخازن وغيرها. وتحصل النفقات اللازمة من المنتفعين علي اقساط يستطيعون سدادها. كما أنها تستطيع انشاء السكك الحديدية الريفية (الترولي) لنقل الحاصلات والاتصال بمحطات سكك حديد الحكومة والشركات وغير ذلك من الأعمال

التأمين : يتعرض المزارع لعدة اخطار من موت ماشيته واحتراق حاصلاته او اصابتها بآفة أوغرق الى غير ذلك . وقد قامت بعض شركات تعاونية بالتأمين ضد بعض هذه الطوارئ والتعويض علي الفلاح ببعض خسارته

نشر المعلومات الزراعيـة : يجب علي المزارع كغيره من اصحاب المهن ان يتتبع رقى العلوم التى لهـا مساس بعمله ، وان يقف على تجاريب غيره فيها . لهذا فشركات التعاون تعقد عدة اجتماعات للمناقشة ومحاضرات تدعو لالقائها الاخصائيين وغيرهم لتبادل الاراء في الابحاث الزراعية ثم تذيع النتائج التى ترشد اليها وتعمل علي الانتفاع منها كما انها تعمل بنفسها وباستخدام بعض الاخصائيين في متابعة البحث والتجربة لمقاومة الآفات التى تنتاب حاصلات اعضاء الشركة ولتحسين طرق الزراعة ونوع التقاوى والمحافظة علي جودة الحاصلات . وتستقى الاخبار والنتائج الزراعية التى يهم الاعضاء الوقوف عليها بارسال البعثات العلمية والاشتراك في المجلات والمؤتمرات والمعارض وغير ذلك

الدفاع عن صالح الاعضاء : تقوم الشركات التعاونية بدراسة مايسن من القوانين واللوائح التى لها مساس بعمل الاعضاء كالقوانين الزراعية

في مقاومة الآفات وتقييد المساحات وتخصيص مناطق الارز مثلاً وتعريفة الجمارك والسكك الحديدية في نقل الحاصلات الزراعية وقوانين الري والضرائب وغير ذلك فتبدي في ذلك صوتاً مسموعاً لخبرة الاعضاء بظروفهم المحلية واقناعهم ذوي الشأن بما يعترضون عليه

تحسين الحياة الريفية : تخصص بعض شركات التعاون جزءاً يسير من أرباحها ليصرف فيما يرقى الحياة الريفية وصحة أهالي القرى كنظافة طرق القرية وانارتها وانشاء المنتزهات وتدريب فرقة موسيقية وغيراً ذلك من الاعمال التي تقوم بها عادة المجالس البلدية في المدن

الرقي الادبي : قد نجحت شركات التعاون في رفع المستوى الادبي لاعضائها وبث الروح الديموقراطية فيهم واعتيادهم النظام في العمل والاعتماد على النفس والاهتمام بالمسائل الاجتماعية والاقتصادية العامة والابتعاد عن الرذائل والمنكرات. ومن الشركات التعاونية من افتتح المدارس لتعليم اولاد الاعضاء وخصص المال للاعمال الخيرية واعانة العجزة والايتام. والله لا يضيع أجر المحسنين

بطرس باسيلي عريان